نصحتكم يا اهل مصر نصيحتي • الا فخذوا من ناصح بنصيب
رماكم امير المومنين بحية • اكول لحيات البلاد شروب
فان يك باق افك فرعون فيكم • فان عصى موسى بكف خصيب

قال كاتبه وقد مر بي قديما ان منطقة الجوزا تشامت روس اهل مصر فلذلك يتحدثون بالاشيا قبل كونها ويخبرون بما يكون قبل وقوعه ويتذرون بالامور المستقبلة ولهم في هذا الباب اخبار مشهورة **قال** بن الطوير وقد ذكر استيلا الفرنج على مدينة صور فعاد الحفظ والحراسة على عسقلان فلا زالت محمية بالابدال المجردة اليها من العساكر والاساطيل والدولة بضعف اولا فاولا الا باختلال الادا فنقلت على الاجناد وكثر امرها عندهم واشتغلوا عنها وضايقها الفرنج حتى اخذوها في سنة ثمان واربعين وخمسماية ولقد سمعت رجلا قبل ذلك بسنتين يحدث بهذه الامور ويقول في سنة ثمان توخذ عسقلان بالامان ومن هذا الباب واقعة الكنايس التي للنصارى وذلك انه لما كان يوم الجمعة تاسع شهر ربيع الاخر سنة عشرين وسبعماية والناس في صلاة الجمعة كانما نودي في اقليم مصر كله من قوص الى الاسكندرية بهدم الكنايس فهدم في تلك الساعة بهذه المسافة عدد كثير من الكنايس كما ذكر في موضعه من هذا الكتاب عند ذكر كنايس النصارى ومن هذا الباب واقعة الدمر وذلك انه خرج الامير الدمر امير جندار بركب الحج من القاهرة في سنة ثلاثين وسبعماية وكانت فتنة بمكة قتل فيها الدمر يوم الجمعة رابع ذي الحجة فاشيع في هذا اليوم بعينه في القاهرة ومصر وقلعة الجبل بان وقعة كانت بمكة قتل فيها الدمر وطار هذا الخبر في ريف مصر واشتهر فلم يكترث به السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بهذا الخبر فلما قدم المبشرون على العادة اخبروا بالواقعة وقتل الامير سيف الدين الدمر في ذلك اليوم الذي كانت فيه الاشاعة بالقاهرة **قال** جامع السيرة الناصرية كنت مع الامير علم الدين الخازن في الغربية وقد خرج اليها كاشفا فلما صليت انا وهو صلاة الجمعة وعدنا الى البيت قدم بعض غلمانه من القاهرة فاخبرنا انه اشيع بان فتنة كانت بمكة قتل فيها جماعة من الاجناد وقتل الامير الدمر امير جندار فقال له الامير علم الدين هل حضر احد من الحجاز بهذا الخبر قال لا قال كله وبحك الناس ما غضهن من الي

مكة الى ثالث يوم بعد عيد النحر وكيف صنعتم هذا الخبر الذي لا يسمعه عاقل فقال قد استفيض ذلك • وكان الامر كما اشيع ووقع لي في شهر رمضان من شهور سنة احدى وتسعين وسبعماية اني مررت في الشارع بين القصرين بالقاهرة بعد العتمة فاذا العامة تتحدث بان الملك الظاهر برقوق خرج من سجنه بالكرك واجتمع عليه الناس فضبطت ذلك وكان اليوم الذي خرج فيه من السجن وفي هذا الباب من هذا كثير **ومن اخلاق** اهل مصر قلة الغيرة وكفاك ما قصه الله سبحانه وتعالى من خبر يوسف عليه السلام ومراودة امراة العزيز له عن نفسه وشهادة شاهد من اهلها عليها بما بين لزوجها منها السو فلم يعاقبها على ذلك سوى بقوله لها استغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين ولخبرني الامير الفاضل الثقة ناصر الدين محمد بن محمد بن الغرابيلي الكركي رحمه الله انه منذ سكن مصر يجد في نفسه رياضة في اخلاقه وترخصا لاهله ولينا ورقة طباع من قلة الغيرة ومما لم يزل يسمعه دايما بين الناس ان شرب ما النيل ينسي الغريب وطنه ومن اخلاق اهل مصر الاعراض عن النظر في العواقب فلا تجدهم يدخرون عندهم زادا كما هي عادة غيرهم من سكان البلاد بل يتناولون اغذية كل يوم من الاسواق بكرة وعشيا • ومن اخلاقهم الانهماك في الشهوات والامعان من الملاذ وكثرة الاستهتار وعدم المبالاة قال لي شيخنا الاستاذ ابو زيد عبد الرحمن بن خلدون رحمه الله اهل مصر كانما فرغوا من الحساب **وقد روي** عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه سال كعب الاحبار عن طبايع البلدان واخلاق سكانها فقال ان الله تعالى لما خلق الاشيا جعل كل شي لشي فقال العقل انا لاحق بالشام فقالت الفتنة وانا معك • وقال الخصب انا لاحق بمصر • فقال الذل وانا معك • وقال الشقا انا لاحق بالبادية فقالت الصحة وانا معك ويقال لما خلق الله الخلق خلق معهم عشرة اخلاق الايمان والحيا والنجدة والفتنة • والكبر والنفاق • والغنا والفقر والذل • والشقا فقال الايمان انا لاحق باليمن فقال الحيا وانا معك • وقال الكبر انا لاحق بالعراق فقال النفاق وانا معك وقال الغنا انا لاحق بمصر فقال الذل وانا معك • وقال الفقر وانا لاحق بالبادية فقال الشقا وانا معك • **وعن** بن عباس رضي الله عنه المكر عشرة اجزا تسعة منها في القبط وواحد في ساير الناس • ويقال اربعة لا تعرف في اربعة السخا في الروم والوفا في الترك والشجاعة

Copyright © King Saud University